

## تجليات الآخر في شعر إيليا أبو ماضي

م. د. سجاد عدنان كاظم<sup>1</sup>

### ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد: يختلف الآخر باختلاف موقف الأنا منه، ما يشير الى صورة الآخر وعلى هذا الأساس فهي عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة الى الآخرين الذين هم خارجها، فالأنا ستتخذ موقفاً من الآخر بصفة الانفصال والمغايرة، فمشتراك الجنسية بين الذكور سيجعل من الاناث آخر، والعكس كذلك، وعلى هذا سيجر إلى الطبقة الاجتماعية والتوجهات النفسية وما إلى ذلك. يأخذ مفهوم الآخر في النتاج الشعري لإيليا أبو ماضي مفهوماً مميزاً لا سيما أن الآخر بالنسبة إليه لم يكن يجسد وجوداً حتمياً لذات منفصلة، فهو يندمج معها تارة، ويفصل عنها تارة أخرى، ويجعل من العاقل آخراً تارة، ومن غير العاقل تارة أخرى، كل ذلك مع إبداع وتميز في الطرح والاداء والصور الشعرية والخيال الخصب والعاطفة الجياشة.

الكلمات المفتاحية: الآخر، الأنا، القومي، الإنساني، الديني، النسبي

### The Manifestations of the Other in the Poetry of Elia Abu Madi

Lec. Dr. Sejjad Adnan Kazom<sup>1</sup>

### Abstract

The other is different from the position of Alana, which indicates the image of the other on this basis is a composite of the social, psychological, intellectual and behavioral attributes attributed by an individual or group to others who are outside, I will take a position of the other on the basis of separation and heterogeneity, Will make the other female, and vice versa, and so will be dragged into social strata, psychological orientations and so on.

The concept of the other in the poetic output of Elijah Abu Madi is a distinct conceptual space, in that the other does not reflect an inevitable existence of a separate self. It merges with it at times, separates it from other times, and makes the intellect other, sometimes unreasonable, With creativity and excellence in subtraction, performance, poetic images, fertile imagination and passion.

**Keywords:** The other, the ego, the national, the human, the religious, the relative

### المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على اشرف خلق الله محمد وعلى آل بيته الاطهار وصحبه المنتجبين الاخير. في هذه الورقيات سنتناول ( الآخر في شعر إيليا أبو ماضي ) وسنحاول التوصل إلى أهم ما يبني به هذا الشاعر من صور تجسد الآخر بالنسبة له.

وقد قسمنا البحث على ثلاثة مباحث وهي : ( الآخر القومي، والآخر الديني، والآخر غير الانساني)، مع تمهيد يوضح ماهية مصطلح الآخر من حيث اللغة والاصطلاح، وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصلت لها خلال هذه الورقات، سائلين الله الموفقية والسداد.

## التمهيد:

## الآخر لغة واصطلاحاً:

يذكر ابن منظور في لسان العرب أن كلمة الآخر تأتي بمعنى "غير" كقولك "رجل آخر وثوب آخر" 1. أما الزبيدي في تاج العروس فلا يختلف كثيراً عما أورده ابن منظور إذ يقول: "أحد الشيبين وبمعنى غير، كقولك رجل آخر، وثوب آخر، ثم صار بمعنى المغاير" 2. فتبين مما سبق أن التراث القديم فهم من المصطلح معنى (الغريبة) فنص صاحب (تاج العروس) كان ثرياً في ربط المعنى المعجمي بالاصطلاحي، وجعل المفهوم يكتسب دلالاته ليضيء الدلالة للدراسات النقدية الحديثة التي جعلت منه محورا لها.

وقد وردت لفظة الآخر بفتح الخاء في القرآن الكريم في خمس عشرة مناسبة بصيغة المفرد نحو قوله تعالى: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا) 3، ومنه قوله سبحانه وتعالى أيضاً: (وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) 4.

ووردت في صيغة الجمع في اثنتين وعشرين مناسبة.. نحو قوله تعالى: (إِنْ هَذَا إِلَّا إِنْكَافُوتٌ أَتْرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) 5، وقوله أيضاً: (ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ) 6 7.

ولا يبعد تناول القرآني للآخر عن المعنى المعجمي كثيراً، فالآخر يفصل بين الذات الإلهية وشريكها، ومن ثم ينفي وجود الشريك، أو أنه يفصل انتساب الموضوع من ذات إلى ذات أخرى.

فمفهوم الآخر في القرآن الكريم "مفهوم مفتاحي بكل معنى الكلمة، يصلح - بتطبيق مناهجية التحليل السياقي الاستقرائي عليه - للاستخدام بصفتها وحدة تحليلية لأنماط العلاقات الإنسانية في وضعها الكلي، وفي فرعياتها، من منظور يتسع الزمان والمكان ليشمل: الحياة الدنيا والآخرة، ويتسع في أطراف العلاقة ليشمل: العلاقة بين خالق الكون بكل ما فيه، والعلاقة بين الإنسان والإنسان، وبينه وبين الخالق والمخلوقات الظاهرة والغيبية كافة" 8

وإذا أردنا أن نفاتش دلالة مصطلح الآخر لا يمكننا تجاهل لازمة من لوازمه الضدية وهي الانا، فالأنا والآخر مولودان معاً فالصورة التي نتخيلها عن أنفسنا لا تتم بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أن صورة الآخر لدينا هي بمعنى من المعاني صورة عن ذاتنا. ومصطلح الآخر من المصطلحات الفضفاضة التي تحتاج إلى تحديد التسمية، وإلى اتفاق واضح حول المفهوم، إذ ينشظى

الآخر وتتسع دائرة معناه ليشمل حمولات تتشابه في علاقاتها مع الذات" 9.

فالأنا والآخر في المعنى القريب البسيط كل ما يقارب الانا وانت ونحن، أما المعنى الاصطلاحي الأبعد، وهو المراد هنا، فالأمر مختلف، فإذا كان الغرب هو الانا فالشرق بالنسبة إليه هو الآخر، وإذا كان الشرق هو الانا فإن الآخر هو الغرب" 10، وهذا يكشف لنا عن نسبية المصطلح في المصداق، ولا يمكن أن تكون أنا مطلقة مع آخر مطلق، فالعملية تبادلية تنبئ الشيء عن نفسه من جهة وعن قبالة من جهة أخرى، والشيء هنا ما كان ذات عاقلة تميز انفصالها عن الذوات الأخرى التي ستكون موضوعاً لهذه الذات.

وسيكشف لنا ما سبق أن أمر الآخر مرتبط بالأسس القافية لتكوين الذات فتحمل "كل الثقافات والحضارات الإنسانية المختلفة صورة ما للآخر). و (الآخر) هو كل ما ترى (الذات) أنه مخاف لها أو مختلف عنها. والحق أن متكلمة الإسلام قد اهدتوا إلى لفظ ملائم يفيد جوانب شتى في هذا المعنى إذ تحدثوا عن (الغير) ... وحيث كان المجال المعرفي متغايراً بين (الآخر) وبين (الغير) وحيث كل منهما يحيل، بالضرورة، إلى أفق ثقافي مختلف، فإننا نفضل استعمال لفظ (الآخر) في حديثنا" 11.

ويختلف "الآخر باختلاف موقف الانا منه، ما يشير إلى صورة الآخر على هذا الأساس هي عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة إلى الآخرين الذين هم خارجها" 12، فالأنا ستتخذ موقفاً من الآخر باعتبار الانفصال والمغايرة، فمشتت الجنسية بين الذكور سيجعل من الاناث آخر، والعكس كذلك، وعلى ذلك سيجر إلى التطبيقية الاجتماعية والتوجهات النفسية وما إلى ذلك.

فقبل تحديد الآخر يجب التأمل في الانا لتبحث عن ضدها وهذا ما سيؤول به الأمر في رسم صورة الآخر، وفي تعيين دلالاته ومعناه، إلى الثقافة التي يكون إليها انتماء (الأنا) أو (الذات) التي تتحدث عن (الغير) المخالف. فنحن نجد أن الحرب والعداوة قد اتصلت سنين عديدة بين إسبرطة واثينا؛ ولكننا نلاحظ، مع ذلك، أن كلتا المدينتين لا تريان صفة الآخر تصدق على الخصم الغريم ولكنهما معا، كل من موقعه، يريان تلك الصورة للشعب الفارسي والشعب المصري ومن ثم لكل الشعوب (الأخرى)، تلك التي تختلف من جهات اللسان والدين والعادات والتقاليد" 13.

**إيليا أبو ماضي رائد شعراء المهجر :**

يعد الأدب المهجري بشكله العام تحولاً بارزاً في تاريخ الأدب العربي، فهو نتاج خصيب مترع بالجمال و العذوبة والذي خلفه الكتاب والشعراء اللبنانيون والسوريون الذين رحلوا عن وطنهم، لأسباب مختلفة، واستقروا في ديار الاغتراب في مطلع القرن التاسع عشر. وكانت أهم البلاد التي توطن فيها الأدباء المهجريون مدينة نيويورك و البرازيل و الأرجنتين، قد ضمتهم جمعيتان أدبيتان هما ( الرابطة القلمية ) في نيويورك (العصبة الاندلسية) في ساو باولو في البرازيل، وهمت كل واحدة منهما في تكوين مدرسة مهجرية أدبية مستقلة.

من أبرز شعراء المهجر الشمالي الذي يتميز - و كان إيليا ابو ماضي (1889 - 1957) بالتححر التام من قيود القديم، والأسلوب الفني الطابع الشخصي المتميز، وعمق الشعور بالطبيعة، والحنين إلى الوطن، والتأمل، والترعة الإنسانية، وبراعة الوصف وتصوير الحرية الدينية، و الغنائية الرقيقة في الشعر .

ويقول جورج صيدح في تحليله للشعر المهجري أنه مزج الكلاسيكية بالرومانطيقية مزج الماء بالراح، وطلا الواقعية بألوان الفن، و استل من الرمزية أفوايه تطيب النكهة، أما المخدرات السريالية فلم تقع في كأسه<sup>14</sup>.

و إذا أردنا أن ندرس شعر أبي ماضي، وجدنا أنه مرّ في مرحلتين إثنين هما مرحلة التقليد ومرحلة التجديد . أما مرحلة التقليد فتظهر واضحة في ديوانيه الأولين (تذكار الماضي)، و(ديوان إيليا ابي ماضي الجزء الثاني) أما مرحلة التجديد الشعري و ابتكار الصور و المعاني الجديدة فتظهر في دواينه الثلاثة اللاحقة، التي تبيّن نضوج الشاعر، الذي يظهر خاصة في ديوانه (الجداول)<sup>15</sup>.

وهناك خصائص تميز بها الشاعر إيليا ابو ماضي عن غيره منها إحساسه المرهف بالطبيعة، وشعوره الأنساني السامي والتصاق شعره بالحياة والإنسان، كما يتميز شعره بالحيوية والطواعية، و الميزة الأخرى التي يتميز بها شعر ( ابو ماضي) هي أن قصائده نابعة من صميم قلبه، إذ يشعر كل قارئ لها أو مستمع إليها أنها تعبر عن إرادته و شعوره، سواء في شعره الإنساني والتأملي أو في شعره الفلسفي الذي نريد أن نتحدث عنها.

**المبحث الأول****الآخر القومي****توطئة :**

لعل مفهوم القومية مفهوم اشكالي غامض "بشكل متأصل، إذ تستخدم أحيانا ضمن معناها التأصيلي (الايتمولوجي) للدلالة على علاقة الناس من حيث الأصل، والمولد، تماما مثلما هي الحال عندما يتحدث المرء عن الامة اليهودية أو الامة التشيروكية . وفي أكثر الاحيان تستخدم في معناها الموسع للدلالة على امتداد اقليم ما وسكانه والحكومة التي تحكمهم انطلاقا من محور فردي موحد"<sup>16</sup>.

شاعرنا المدروس إيليا ابو ماضي قد شكلت هويته العربية اللبنانية تشكيلاً قومياً، لكنه كما في الآخر الدين لم تكن قوميته عائقاً في الاندماج مع الآخر العربي أو غير العربي ، لأنه سن لنفسه مبدأ الانسانية فجعل نفسه متماهيا مع الآخر غير متأهبا بالتحديدات والمباني المقيدة لإنسانيته ونجد ذلك جلياً في قصيدته "سماؤها موصلة بسمائي" التي تفتح افق الاتصال بين الانا والآخر إذ قال فيها :

حتى إذا حان الوصال رمت بنا  
وكان (تكساس) وهي في هذا الحمى  
طوباً لها، إن كان يعلم أهلها  
كانت مسارح للرعاة فأصبحت  
هو بلبلُ عقب النبوة في أغا  
وجلال لبنان، وقد غمر المسا  
غنى فقي النسما والاوراق  
نكباء عاتية إلى الغبراء<sup>17</sup>  
صقّ كسانبول قصي نائي  
أنّ النزيل بها أخو الوراق  
لما أتتها كعبة الشعراء  
نيه، وفيها نكهة الصهباء  
هضباته وأنسل في الأوداء  
والغدران أعراس بلا ضواء

- هو نفة قديسة هبطت إلى  
هذا الثرى في عالم الألاء<sup>18</sup>
- تناول ابو ماضي في قصيدته صديقه رشيد سليم  
الخوري، وهو يمثل الانا المشتركة معه في وسط الآخر وهو بلاد  
الغرب (الولايات المتحدة الأمريكية) وتحديدا في ولاية تكساس،
- طوبا لها، إن كان يعلم أهلها  
أن النزيل بها أخو الوراق
- كانت مسارح للرعاة فأصبحت  
لما أتها كعبة الشعراء
- ومن ثم يستذكر الشاعر متعلقات الانا بذكره بلاده الام (لبنان)،  
وهذا الاستذكار بسبب استحواذ مكان بلاد الآخر على ذاته،
- وصارت تضغط على وجدانه وكأنها السجن الواسع، وإذا ببلده  
سيكون نجاته وحرية:
- هضباته وأنسل في الأوداء  
وجلل لبنان، وقد عمر المسا
- غنى فقي النسمات والاوراق  
والغدران أعراس بلاضوء
- الانا الشرقية والذات الغربية:
- على الرغم من السنين الطوال التي عاشها الشاعر في الولايات  
المتحدة الأمريكية، وأخذ من الاخر الكثير من الافكار والثقافات  
لكن وجدانه لم يزل متأث صوب المشرق، منبت وجوده، ومصنع
- أيهما السائل عني من أنا  
أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي
- لغة الفولان هاضت<sup>19</sup> لغتي  
لا يعيش الشدو في دنيا اصطخاب
- لست أشكو إن شكى غيري النوى  
غربة الأجسام ليست باغتراب
- أنا كالكرمة لو لم تغترب  
ما حولها الناس خمرا في الخوابي
- أنا كالسوسن لو لم ينتقل  
لم يتوج زهره رأس كعباب
- أنا في نيويورك بالجسم  
وبالروح في الشرق على تلك الهضاب
- أنا في الغوطة زهر وندى  
أنا في لبنان نجوى وتصابي
- رب هبني لبلادي عودة  
وليكن للغير في الاخرى ثوابي<sup>20</sup>

قصيدته لفتات فلسفية عدة، فهو ينفى وجود أهمية للجسد في تكوين الأنا، فلو كانت للأجساد أهمية لما صار الشرق انتسابه وهو في الغربي يرتع فقال :

فمن الملاحظ ان القصيدة بينت تشكلات للاننا أتت في معرض الرد على الآخر ، فيجوابه يرسم لأناه عظمة ورفعة ، فمرة يقرنه - أي أنه - بالشمس العظيمة، ويقرن لفته بالفولاذ الصلد ، ويلتفت في

لست أشكو إن شكى غيري النوى      غربة الأجسام ليست باغتراب

ويؤكد هذا المعنى في بيت آخر :

أنا في نيويورك بالجسم      وبالروح في الشرق على تلك الهضاب

ويصف حال اغترابه كحال الكروم التي تجنى من أرضها لتخزن في بيئة الرطوبة الظلام التي لا تشبه كينونتها الوجودية ولهذا تتحول إلى خمر في قوله:

أنا الكريمة لو لم تغترب      ما حولها الناسُ خمرًا في الخوابي

من اعلان انتمائه للشرق من جهة وجسده في بلاد الغرب ، ومن جهة أخرى ان الغوطة هي من بلاد الشام ونبع من منابع العروبة التي ينتمي إليها الشاعر ، فقال في ذلك :

ثم يستذكر أماكن الانا وهي (لبنان)، بلده مع (الغوطة) وهي مدينة سورية ، وعلى الرغم من أن الغوطة ليست من مدن لبنان فهي آخر بالنسبة للبلاد، لكنها مثلت الانا في بلاد الغرب ولعل ذلك نابع

أنا في الغوطة زهرٌ وندى      أنا في لبنان نجوى وتصابي

#### الآخر المحتل :

ولم يبتعد عن المعنى السابق في قصيدة قالها معنونة بـ ( تحية الشام) قال في مطلعها :

حيّ الشام مهندا وكتابا      والغوطة الخضراء والمحرابا<sup>21</sup>

وأخذ في هذه القصيدة يمدح بيوسف العظمة الذي قاد الثوار السوريين في معركة ميسلون ضد الاحتلال الفرنسي ، واستشهد أثرها يوسف العظمة ، وهذا ما دعاه إلى نعيه ورثاه :

لما ثوى في ميسلون ترنحت      هضباتها وتنفت اطـيابا

وأتى النجوم حديثه فتهافتت      لتقاوم حرّاسا له حجابا

وما كان يوسفٌ واحدا بل موكبا      للنور غلغل في الشمس فغابا<sup>22</sup>

ومن ثم يأخذ بمدحه فيقول :

ليت الرياض تعيرني ألوانها      لأصوغ منعها للرئيس خطابا

وأقولُ إنني عاجزٌ عن شكره	عجز الأنامل أن تلم عبا
أشكو إلى نفسي العباب فتشتكي	مثلي، وتصمت لا تحير جوابا
فلقد رأيت البحر حين رأيتَه	فتوقف مضطرب الرؤى هيأبا
أعميد سوريا وكاشف ضررها	خلقت يدك من الشيوخ شبابا
وبلايل كانت تئن سجيئةً	أطلقتها وأطرتها أسرابا
يا صاحب الحلق المصفي كالندى	لو لم تكن بشرا لكنت سحابا
أمل الشبية في يدك وديعة	فارفع لها الأخلاق والآدابا
فالجهد فالجهل أنى كان فهو عقوبة	والعلم أنى كان كان ثوابا
يا ويح نفسي كم تطاردني النوى	وتهد من القلب والاعصابا
ودعت خلف البحر أمس أحبة	وغدا أودع هاهنا أحبابا <sup>23</sup>

ولم يكتفِ إيليا أبو ماضي بجعل يوسف العظمة السوري ممثلاً له ، بل جعل من "مصطفى باشا" المصري ذاتاً لبنانية تقاوم الآخر الانجليزي فيقول في رثائه:

قامت الابيات السابقة على مدح يوسف العظمة فالمنحى الاول يفترض ان يكون يوسف العظمة ممثلاً للآخر ، لكن الشاعر جعل منه ممثلاً للذات ، لكون عدو يوسف هو الذي سيكون الآخر المنفصل وهو الفرنسي المحتل ، فاتققت الانا الشاعرة مع الانا المقاومة ضد الآخر الغربي المحتل .

بكيك ولكن بالدموع السخينة	وما نفذت حتى بكيتُ بمهجتي
على كامل الاخلاق والندب مصطفى	فقد كان زين العقل زين الفتوة
نعاه لنا الناعي فكادت بنا الدنى	تميد لهول الخطب خطب المروءة
وذابت قلوب العالمين تلهفا	وسالت دموع الحزن من كل مقلة
أجل قد قضى في مصر أعظم كاتب	فخلف بالاكباد أعظم حسرة
فتى وأبي لو أن في الناس مثله	لهان علينا وقع هذي الرزية
ولو كان يفدى في النفوس الردى	جعلنا فده كل نفس أبية <sup>24</sup>

توغل القصيدة في مدح مصطفى كمال باشا ، فهو بيكيه (بالدموع السخينة) بل (بمهجته) ، ويصل به الجزع ليقول :

نعاه لنا الناعي فكادت بنا الدنى	تميد لهول الخطب خطب المروءة
وذابت قلوب العالمين تلهفا	وسالت دموع الحزن من كل مقلة
أجل قد قضى في مصر أعظم كاتب	فخلف بالاكباد أعظم حسرة

ووصفه بـ (زينة العقل ، وزين الفتوة) ومن ثم يصل إلى ذرى

الوصف العظيم في قوله :

فتى وأبي لو أن في الناس مثله

لهان علينا وقع هذي الرزية

ولو كان يفدى في النفوس الردى

جعلنا فده كل نفس أــــبــــية

ويتضح مما سبق ان الآخر القومي بالنسبة لإيليا أبو ماضي نسبي مطلقا ، فنجدته يجعل من السوري والمصري أنا له في قبال الآخر الغربي ، ولم تشكل عنده هويته القومية اللبنانية والدينية المسيحية ان يكون مثل هؤلاء القادة ذاتا له ، لكنه لم يتنازل عن هويته الشرقية على الرغم من عيشه في بلاد الغرب طويلا .

"الانتماء إلى النسب الفينيقي ، فإنهم قد شكلوا تاريخا بأنفسهم سيمنحهم مصداقية ، أكبر في المنطقة ، من أبناء بلدهم من المسلمين، بينما تدلهم في الوقت ذاته على كيفية الوصول لأوربا، وان تشكيل هوية سامية شمالية توحد الفينيقية مع الأرية والسريانية، التي هي لغة المارونيين الطقوسية ، يربطها بعربية السامية الجنوبية ، ويميزها عنها"<sup>25</sup> .

### الآخر والمذهبية :

وفي ظل هذه الأزمة الدينية المحتدمة في لبنان لم يكن ايليا أبو ماضي منتشر حيثياتها، فقد كانت هوية الأنا الدينية عنده اشمل لتضم معها الآخر غير المسيحي، وهي وقد صقل هويته بعناية وكأنه يصنع لنفسه دينا جديدا للإنسانية التي تشكل مع الآخر ذاتا واحدة ، فرؤيته للدين رؤية مختلفة ، فلا نكاد نرى ذاته تبان في ظل اندماجه مع الآخر الديني والمذهبي ، وفي هذا السياق يقول :

### المبحث الثاني

#### الآخر الديني

#### توطئة :

دامت الهيمنة الإسلامية قرونا عدة في لبنان مسقط رأس الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي ، وكان على رأس النسق الثقافي المهيمن هو القرآن، لا سيما في الجانب اللغوي ، مع ادعاء مسيحيو لبنان

وسائلة : أي المذاهب مذهبي

وهل كان فرعا في الديانات أم أصلا

وأبي نبيّ مُرسلٍ أقتدي به

وأبيّ كتابٍ مرسلٍ عندي الأعلى ؟

فقلت لها لا يقتني المرء مذهبا

وإن جلّ ، إلا كان في عنقه غلّا

فما مذهب الانسان الازجاجة

تقيده خمرا وتضبطه خالا

فإن كان قبسحالم يبدله لونها

جمالا، ولا نبلا إذا لم يكن نبلا

أنا آدمي كسان يحسب أنه

هو الكائن الأسمى وشرعته الفضلى

وأن له الدنيا التي هو بعضها

وأن له الأخرى إذا صام أو صلّى

تتلمذت للإنسان في الدهر حقبة

فلقنني غيا ، وعلمني جهلا

نهاني عن قتل النفوس وعندما

رأى غرة مني تعلم بي القتلا

وذم إلي الرق ثم استرقني

وصورَ ظلما فيه تمجيده عدلا<sup>26</sup>

في الأبيات السابقة يطرح الشاعر آلية التصنيف الديني ويفصل الديانات الى مذاهب وفروع ، ولعله يأتي بهذا التساؤل ليحمله وسيلة لترح الانا مقابل الآخر من جهة ، ومن جهة يطرحه ويلمح

عليه بشيء من الاستهزاء لا سيما انه يجيب عن ديانته بمخالفة افق التوقع فيقول : (لا يقتني المرء مذهبا) ، ويشبه الحالة المذهبية التي تنتاب الآخر بأنه كزجاجة الخمر التي تذهب العقل ، ويؤكد ان

تفكيره الذي كان يشابه تفكير الآخر الانساني بالتمحور المذهبي كان خاطئاً فقال :  
 أنا آدمي كـان يحسب أنه هو الكائن الأسمى وشرعته الفضلى  
 وأن له الدنيا التي هو بعضها وأن له الأخرى إذا صام أو صلّى  
 ومن ثم أكد خطأ تصوراته بممارسة حجاجية في قوله :

تتلمذتُ للإنسان في الدهر حقبةً فلقنني غيياً ، وعلمي جهلاً

نهاني عن قتل النفوس وعندما رأى غرة مني تعلم بي القسّـتلا

وذم إلي الرق ثم استرقني وصوّرَ ظلماً فيه تمجيده عدلاً

وبشيء من التشابه يطرح مرة أخرى عقيدته للآخر في قوله :

حرٌّ ومذهب كل حر مذهبي ما كنت بالغاوي ولا المتعصب

إني لأغضب للكريم ينوشه<sup>27</sup> من دونه وألم من لم يغضب

وأحب كل مذهب لو أنه خصمي وأرحم كل غير مذهب

يأبى فؤادي أن يميل إلى الأذى حبُّ الأذية من طباع العقرب

لي أن أردّ مساءةً بمساءةٍ او أنني أرضى بـبيرق خوّلِب<sup>28</sup>

حسب المسيء شعوره ومقاله في سرّه : يا ليتني لم أذنب<sup>29</sup>

والرحمة ، وعدم الأذى ، وعدم رد الاساءة بمتلها) ، وبهذه المنظومة التي تركز على الاخلاق كونت اعتقادا وأنا الشاعر ، وبعد ذلك من سيخالفه بهذا الاعتقاد الذي قوامه العمل الاخلاقي سيكون آخر ، ولكن لن يكون الآخر ضدي لكنه تعهد في ابياته بعدم الأذية حين قال :

حبُّ الأذية من طباع العقرب

الكفرية، ولا أي المعتقد الذي يتشبث به الآخر ، ومرجع ذلك واقعه النفسي والفكري المتأزم ، ومن ذلك ما قال :

وملّت حتى من الأحباب

ضجرت من طعمها والشراب

ويتضح من الأبيات السابقة ان الشاعر تناول الآخر من الحيثية الموضوعية لا الذاتية ، فمن الجهة الاولى أعلن ان مذهبه ليس المسيحية الكاثوليكية ، بل صنع لنفسه مذهباً آخر ، وهو (مذهب الأحرار) حين قال : (حرٌّ ومذهب كل حر مذهبي) ، وبعد ذلك اعطى معايير تشكل كينونة مذهبه وهي (الكرم ، والتهذيب ،

يأبى فؤادي أن يميل إلى الأذى

#### الآخر والعدمية :

في حوار الشاعر مع الآخر الديني والآخر اللاديني ينطلق من واقع عدمي ، فلم يعد يهمه ركائز الثابت الديني ولا التشكيكات

سئمت نفسي الحياة مع الناس

وتمشت فيها الملالة حتى



ومن العابدين كلَّ إلهه ومن الكافرين بالأرباب

وممن الواقفين كالأنصاب ومن الساجدين للأنصاب<sup>30</sup>

فمنطلق الشاعر العدمي منطلق نفسي كما لاحظنا لا سيما وهو يؤكد ذلك في قوله :

سئمت نفسي الحياة مع الناس وملئت حتى من الأحباب

فسؤمه من الحياة انجر الى سؤمه من متعلقاتها المادية والمعنوية وانجر ذلك لرفضه الآخر الديني واللاديني كما في قوله :

ومن العابدين كلَّ إلهه ومن الكافرين بالأرباب

### الآخر والاخلاق :

يفترض الشاعر ان هناك آخر يرفض الحب ، ويهدد بجهنم ، ولا يروقه دين المحبة والانسانية :

ويصور رفضه بمفارقة غريبة بأن الذي يفعل شيئاً، وبأخذ دور الانصاب حاله حال عابد الانصاب ، فهو يحرك الآخر على رفض عبادة الانصاب من جهة ، ورفض الوقوف مكتوف اليدين من جهة أخرى .

قال قوم أن المحبة أثم ويح بعض النفوس ما أغياها

إن نفسا لم يشرق الحب فيها هي نفس لم تدري ما معناها

خوفوني جهنم ولظاها أي شيءٍ جهنمٌ ولظاها؟

ليس عند الإله نارٌ لذي حبٍ ونار الإنسان لا أخشاها

أنا بالحب قد وصلت إلى نفسي وبالحب قد رفت الله<sup>31</sup>

### الآخر مقوض الوحدة الدينية :

من المعلوم أن الوضع السياسي والديني في لبنان ينتابه التأزم مذ تأسست الدولة اللبنانية الحديثة ، وهذا بالنتيجة سينعكس على ذات الشاعر ، فنجده ناقما من الآخر الذي لا يرى في لبنان إلا السياسة والطوائف ، فكتب قصيدة عنونها "الله حامي لبنان" وكأنه بهذا العنوان يبين عجزه أمام الوضع المتدهور الذي سببه الآخر المتخلف ، فيقول :

غيري يراه سياسة وطوائفا ويظل يزعم أنه رائيه

ويروح من إشفاقه يبكي له لبنان أنت أحق أن تبكيه

لا يسفرُ الحسن النزيه لناظر ما دام منه الطرف غير نزيه<sup>32</sup>

تشتمل الابيات على الثنائية الضدية بين الخير والشر ، والحب والكره ، والعقاب والرحمة ، وتنتصر أنا الشاعر الخيرة المحبة الرحيمة ، على الآخر الشرير الكاره المعاقب ، ففي الابيات السابقة رسالة اخلاقية عظيمة وطفها من خلال صراع الأنا مع الآخر .

### الآخر عابد المال :

يصور الشاعر آخر دينياً لكن بروية مجازية ، وهو ذلك الذي لا يؤمن برب ولا رسول سوى بالمال وما يؤول اليه فيقول :

يا عابد المال قل لي هل وجدت به روحا تؤاسيك أو روحا تؤاسيها  
 حتى مَ ، يا صاح ، تخفيه وتطمره كأنما هو سوءات تواريها  
 تحرم النفس لذاتٍ لها خلقت ولم تصاحبك ، يا هذا ، لتؤذيها  
 أنظر إلى الماء إنَّ البذل شيمته يأتي الحقول فيروبيها ويحييها  
 فما تعكر إلا وهو منحس والنفس كالماء تحكيه ويحكيها  
 السجن للماء يؤذيه ويفسده والسجن للنفس يؤذيها ويضنيها<sup>33</sup>

### المبحث الثالث

#### الآخر غير الانساني

#### توطئة:

لا شك ان الشاعر ايليا أبو ماضي كان متميزا ومبتكرا ، ولم يشأ ان يسر على ما سار عليه سلفه، فكان مما يميز شعره أنه يرتقي بالذوات غير العاقلة إلى منزلة الذات العاقلة، ويتناول هذه المزية بحرفية وإنماز، ويسعفه على تميزه عمق فكره الفلسفي ، وابداعه الذهني المنطلق من تجربته الشعورية الغنية .

ومما نجد في شعره من تحاوره مع الآخر غير الانساني قصيدته (السماء)، إذ قال فيها :

إلا النعوت والاسماء  
 كلُّ شيءٍ وعند قوم هباء  
 مروجٌ فسيحة خضراء  
 كلما أشرفت وغابت ذكاء<sup>34</sup>  
 ب فيها ، ولا يغيض الماء<sup>35</sup>

يجعل من الآخر غير الانساني متشكلا لما ينطق به الذهن من رؤيا تجاهه، فهو لم يبقَ على الشينية بل اعطى للسماء شيئاً من الملامح الانسانية في قوله :

كلما أشرفت وغابت ذكاء  
 ب فيها ، ولا يغيض الماء

لا يفتأ ان يطلق وحيه تجاهها ، وفي القصيدة التالية نجد ذوات عدة تجسد الآخر غير الانساني في شعر ايليا ، فقال في قصيدته التي عنوانها "حنين الشاعر في السماء":

يصور الشاعر الآخر الطماع المستغل بـ (العابد للمال) ، ويصور ان طقوس هذا العابد من خلال طمره للمال واخفائه ، ويشقي نفسه حتى لا يصرف من ماله ، ويحاول اقتناع الآخر العابد للمال من خلال تبصيره على منافع الكرم ، اذ ينبت كرم المياه نباتا، ويشبه سجن المال بسجن الماء اذ بإطلاقه تعم الحياة .

لا تسلني عن السماء فما عندي  
 هي شيءٌ وبعض شيءٍ وحيناً  
 فسماء الراعي كما يتمناها  
 تلبس التبر مـزررا ووشاحا  
 أبدا في نضارة لا يجف العشد

يجعل ايليا ابو ماضي من السماء ذات مجهولة الماهية ولا يملك معرفتها الا ما تعلق بالنعوت والاسماء ، ويبدأ بعده ببيان النعوت التي لازمت ذهنه، فهي شيء تارة ولا شيء تارة أخرى، وكأنه

تلبس التبر مـزررا ووشاحا  
 أبدا في نضارة لا يجف العشد

ولعل السماء تمثل المجهول الذي يسعى إليه كل ذي فضولٍ لا يرتوي ومن سؤال الماهية والوجود ، فالسماء كذات تمثل الآخر أطرقت كثيرا في شعر ايليا أبو ماضي ، ذلك الفضولي النهم ، الذي

رأني الله ذات يوم في الأرض أبكي من الشقاء  
 فَرَقَّ والله ذو حنان على ذوي الضر والعناء  
 وقال ليس السُّتراب داراً للشعر فارجع إلى السماء  
 وشاد فوق السماك بيتي ودُّ ملكي على الفضاء  
 لكُنِّي لم أزل حزيناً مكتئب الروح في العلاء  
 فاستغرب الله كيف أشقى في عالم الوحي والسناء  
 وقال ما زال آدمياً يصبو إلى الغيد<sup>36</sup> والطلاء<sup>37</sup>

جعل الشاعر من الذات الإلهية ( آخر ) ، وهو ذات عاقلة غير إنسانية ، وليس كمثل شئ ، وفي مشهدٍ عرفاني يصور الشاعر نفسه وكأن له مع الذات الإلهية علاقة الود التي تجعل من الله تعالى

فاستغرب الله كيف أشقى في عالم الوحي والسناء

ولعل تناوله للذات الإلهية بهذا الشكل الذي قد يفهم منه سوء وصفٍ لله عز وجل ، لكن مبتغاه إيصال فكرة قرب العبد من ربه ، لينزل الرب من ملكوته ليعتني بذلك العبد الشقي .  
 وفي قصيدة أخرى اسمها (الروح) وهي ماهية متحيرة تقع بين الانا والآخر من جهة ، وبين الانا الإنسانية وغير الإنسانية من جهة أخرى ، قال فيها :

روحي التي بالأمس كانت ترتع في الغاب مثل الطيبة القمراء

تقتات بالثمر الجنّي فتشبع ويبئُ غلَّتْها رشاش الماء

نظرت إليك فأصبحت لا تقنع بالماء والافياء في الغبراء

تصغي وتنصت والحمامة تسجع إصغاؤها لك ليس للورقاء<sup>38,39</sup>

نلاحظ من الابيات السالفة ان الشاعر جعل روحه التي تمثل ذاته منزلة الآخر بالنسبة إليه ، وأعطاه صفات لا إنسانية في وصفها

نظرت إليك فأصبحت لا تقنع بالماء والافياء في الغبراء

وفي قصيدة أخرى جعل الشعر من النباتات آخر مجسدا ذاتا غير إنسانية ، وهذا النبات هو "العليقة" ، شجيرة شانكة متسلقة يصل ارتفاعها إلى أربعة أمتار ، ويصفها ويقول :

وهي كالقيد لساقى، ولجيدي كالسخاب<sup>40</sup>

فكأنها في عناقٍ لا نضالٍ ووثابي<sup>41</sup>

ويجسد الشاعر بهذه القصيدة ذلك النبات على انه آخر متوحش كاسر محتال فأعطى له صفات تدل على ، فتك ، استلاب ، عدوانه (الحراب ، أظفار العقاب ، اللص ، لها نهش الافاعي ، لسع

ذات شوكٍ كالحرابٍ أو كأظفار العقاب

ربضت بالغاب كاللص ، لفتكٍ واستلاب

صنت عنها حر وجهي، فتصدت لثيابي

كلما أفلت من نابٍ تَلَقَّتْني بناب

فمتى تنجو من الأسر وتتجو؟ لست أدري<sup>44</sup>

تعد هذه القصيدة من القصائد الفلسفية لإلية أبي ماضي ، ويتناول فيها مجموعة كبيرة من الأخريات غير الانسانية ، ويحاول الآخر بكم كبير من الاسئلة ، ويجيب عن نفسه بأجابة من لم يصل لنتيجة فيقول (لست أدري).

#### الخاتمة :

يعد إيليا أو ماضي من الشعراء الحدائين الذين جددوا بالشعر العربي الشيء الكثير ، ونجد ذلك في دراستنا للشعر أن الآخر بالنسبة إليه كان متميزا من حيث إنه لم يكن يجسد وجودا حتميا لذات منفصلة ، فهو يندمج معها تارة ، ويفصل عنها تارة أخرى ، ويجعل من العاقل آخر ومن غير العاقل تارة أخرى ، كل ذلك مع إبداع وتميز في الطرح والاداء والصور الشعرية والخيال الخصب والعاطفة الجياشة .

#### الهوامش:

1. لسان العرب : محمد بن مكرم الافريقي المصري ابن منظور ، تحقيق: عبدالله علي الكبير ، وآخرون ، دار المعارف القاهرة ، د. طبت ، مادة آخر ، 1 ، 87 .
2. تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق : علي هلال ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط 1 ، 2001م ، 10 ، 34 .
3. الاسراء : 22 .
4. يوسف : من الآية 41 .
5. الفرقان : من الآية 4 .
6. الصافات : 82 .
7. الانا والآخر في المعلقات العشر : سعد سامي محمد ، رسالة ماجستير ، بإشراف : جنان محمد عبد الجليل ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، 1433هـ - 2012م ، 3 .
8. الانا والآخر من منظور قرآني : السيد عمر ، تحرير : منى أبو الفضل ، و نادية محمود مصطفى ، دار الفكر ، دمشق ، (د.ط) ، 2008م ، 51 .
9. الآخر في الشعر الجاهلي : مي عودة أحمد ياسين ، رسالة ماجستير ، بإشراف : أحسان الديك ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس - فلسطين ، 2006م ، 4 .
10. الآخر في الشعر الجاهلي : 5 .
11. ينظر : أوربا في مرآة الرحلة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة : سعيد بن سعيد العلوي ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2012م . 14 .

الذباب، .. الخ )، وعلى الرغم من ان الآخر غير انساني لكن الشاعر لم يجسده بالصفات البشرية في صفة ( اللص ، والاستلاب) أما باقي الصفات فكانت مشتقة من الصفات الحيوانية المفترسة والمؤذية ، ولعل هذا الآخر غير الانساني هو قنع عن آخر انساني، توارى الشاعر عن ذكره بشيء من الرمزية ليعطي المتلقي أفقاً واسعاً بالتأويل .

وأيضاً جسد الشاعر من (الارض) الآخر النسبي بالنسبة له ، فإنه آخر ما دام لم يوارى جسده الثرى ، وما إن يواريه فسيصير له ذاتاً، فقال في قصيدة رائعة :

أنا للأرض وإن طال عن الارض اغترابي

ما بنفسي خشية الموت ولا منه ارتهابي

أنا للأرض وإن طال عن الارض اغترابي

غير أنني لم يزل ضرع لمرى واحتلاب

لم أهب كل الذي عندي، ولم يفرغ وطابي

أنا نهرٌ لم أتمم بعدُ في الرض انسيابي

أنا روضٌ لم أذغ كلَّ عيبري وملابي<sup>42، 43</sup>

في الابيات السابقة يكرس الشاعر مبدأ أساسى وكأنه يرد على من يفكر أن الارض هي ذات أخرى لا ننتمي لها ، بأن يجعل من الذات التي تمثل الآخر هي شيءٍ متماهيا مع ذاته ، ولم تكن هذه التساؤلات مقتصرة على الارض فقط ، فقد جعل أبو ماضي من البحر ذاتا تمثل الآخر غير الانساني في قوله :

قد سألت البحر يوماً هل أنا يا بحر منكا ؟

هل صحيحٌ ما رواه بعضهم عني وعنكا ؟

أم ترى ما زعموا زورا وبهتاناً وإفكا ؟

ضحكت أمواجه من وقالت لست أدري

\*\*\*\*\*

أنت يا بحر أسيرٌ آه ما أعظم أسرك

أنت مثلي أيها الجبار لا تملك أمرك

أشبهت حالك حالي وحكى عذري عذرك

12. الآخر في الشعر الجاهلي : 6 .
13. أوربا في مرآة الرحلة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة : 17 .
14. أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية : جورج صيدح ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العالية 1956 ، 37 .
15. ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي ؛ الأدب الحديث : حنا خافوري ، دار الجيل ، بيروت (د. ط ) ، (د.ت) ، 591-597 .
16. اللغة والهوية ؛ قومية إثنية - دينية : جون جوزيف ، ترجمة: عبد النور خراقي ، عالم المعرفة ، الكويت ، 342 - اغسطس، 2007م ، 131 .
17. قصيدة كتبها الشاعر إلى القروي (رشيد سليم الخوري) ألفت في الحفلة الوداعية التي أقيمت في ولاية تكساس (الولايات المتحدة الأمريكية) .
18. ديوان إيليا أبو ماضي: 54 .
19. هاضت لغتي: انكسرت .
20. ديوان إيليا أبو ماضي: 75 .
21. المصدر نفسه: 81 .
22. المصدر نفسه: 82 .
23. المصدر نفسه: 83 - 84 .
24. المصدر نفسه: 120 .
25. اللغة والهوية قومية - اثنية دينية : 297 .
26. ديوان إيليا أبو ماضي: 351 .
27. ناوشت فلان : اختبرت قوته .
28. البرق الخلب : الكاذب الذي لا يعقبه مطر .
29. ديوان إيليا أبو ماضي: 70 .
30. المصدر نفسه: 72-73 .
31. المصدر نفسه: 466 .
32. المصدر نفسه: 473 .
33. المصدر نفسه: 477 .
34. تبر : ذهب . نكاء : الشمس .
35. ديوان إيليا أبو ماضي: 37 .
36. الغيد: الميل والليوننة .
37. ديوان إيليا أبو ماضي: 57 .
38. الورقاء: الحمامة .
39. ديوان إيليا أبو ماضي: 57 .
40. السخاب: عقد من ورود .
41. ديوان إيليا أبو ماضي: 78 .
42. المصدر نفسه: 79 .
43. ملاب : طيب يشبه الزعفران .
44. ديوان إيليا أبو ماضي: 98 - 99 .
- المصادر والمراجع :**
- القرآن الكريم أكرم المصادر وأثمنها .
  - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية : جورج صيدح ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العالية 1956 .
  - الانا والآخر من منظور قرآني : السيد عمر ، تحرير : منى أبو الفضل ، و نادية محمود مصطفى ، دار الفكر ، دمشق ، (د.ط)، 2008م .
  - أوربا في مرآة الرحلة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة : سعيد بن سعيد العلوي ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2012م .
  - تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق : علي هلال ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ط 1 ، 2001م .
  - ديوان إيليا أبو ماضي : قدم له وعلق عليه : إبراهيم شمس الدين ، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 2005م .
  - الجامع في تاريخ الأدب العربي ؛ الأدب الحديث : حنا خافوري ، دار الجيل ، بيروت (د. ط ) ، (د.ت) .
  - لسان العرب : محمد بن مكرم الأفرقي المصري ابن منظور ، تحقيق: عبدالله علي الكبير ، وآخرون ، دار المعارف القاهرة ، د.طت ، مادة آخر .
  - اللغة والهوية ؛ قومية إثنية - دينية : جون جوزيف ، ترجمة: عبد النور خراقي ، عالم المعرفة ، الكويت ، 342 - اغسطس، 2007م .
- الرسائل :**
- الانا والآخر في المعلقات العشر : سعد سامي محمد ، رسالة ماجستير ، بإشراف : جنان محمد عبد الجليل ، جامعة البصرة، كلية الآداب ، 1433هـ - 2012م .
  - الآخر في الشعر الجاهلي : مي عودة أحمد ياسين ، رسالة ماجستير ، بإشراف : أحسان الديك ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس - فلسطين ، 2006م .